الدَّارُ الآخِرَةُ

(٢١)

أَهْوَالُ يَوْمِ القِيَامَةِ

الشيخ/ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآخِرَة
أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن أهوال يوم القيامة أمر عظيم لا يُقَدِّرُ قدره ولا يبلغ كنهه عقل بشري، ويدل على عظم هذا اليوم ما يلي[1].

١- أن الله - عز وجل- سماَّه باليوم العظيم:

قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]

وسمَّاه كذلك باليوم الثقيل، **فقال تعالى:** ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان:٢٧]

وسمَّاه كذلك باليوم العسير، **فقال تعالى:** ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:٩-١٠]

وإذا كان رب العالمين سمَّى هذا اليوم بهذه الأسماء، فهذا يدلك على هول هذا اليوم، وأنه أعظم مما نتصور، وأكبر مما نتخيل.

٢- ويدلك كذلك على هول هذا اليوم:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١،٢]

فالمرضع التي كانت في الدنيا تفدي وليدها بنفسها، في يوم القيامة تذهل عنه، والحامل تسقط حملها، والناس حالهم كحال السكارى الذين فقدوا عقلهم من هول ذلك اليوم، ولشدة الهول تشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم، فلا تطرف لشدة الرعب، ولا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا، ولشدة الخوف تصبح أفئدتهم خالية لا تعي شيئًا ولا تعقل شيئًا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٢،٤٣]

وترتفع قلوب الظالمين لشدة الهول إلى حناجرهم، فلا تخرج ولا تستقر في مكانها ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر:١٨]، ومعنى ﴿كَاظِمِينَ﴾، أي: ساكتين لا يتكلمون.

ووصف في موضع آخر ما يصيب القلوب والأبصار في ذلك اليوم، **فقال:** ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧]

وحسبك أن تعلم أن الوليد الذي لم يرتكب جرمًا؛ يشيب شعر رأسه لشدة ما يرى من أهوال:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل:١٧،١٨]

١- القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر -رحمه الله- (ص٨٥-٨٨) بتصرف.

٣- ومما يدل على عظم هول هذا اليوم، أن كل إنسان في هذا اليوم العصيب لا يهتم إلا بنفسه فقط، فلا يلتفت إلى غيره مهما كان، فتجده في هذا اليوم يفر من أحب الناس إليه

كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧]، **وقال في موضع آخر:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان:٣٣]

وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨]

ومما يدل على هول هذا اليوم: استعداد الكفار في هذا اليوم لبذل كل شيء في سبيل الخلاص من العذاب، فلو كانوا يملكون ما في الأرض لافتدوا به ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس:٥٤]

بل لو كان للكفار ضِعْف ما في الأرض لافتدى به ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:١٨]، بل هو على استعداد أن يبذل ما عنده ولو كان ملء الأرض ذهبًا، وعلى احتمال إن كان الأمر كذلك، فإن الله لا يقبل منه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران:٩١]

وفي "صحيح البخاري" عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: **" يُجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سألتك ما هو أيسر من ذلك ".**

ويصل الحال بالكافر في ذلك اليوم أن يتمنَّى لو دفع بأعز الناس عنده في النار؛ لينجو هو من العذاب ﴿. . . يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج:١١-١٥]

فهذا إن دلَّ إنما يدلُّ على هول شدة هذا اليوم؛ ولذلك تجد أن الله ﷻ سمَّى يوم القيامة بأسماء عديدة، ووصفه بأوصاف كثيرة، وهذا حال كل ما عظم أمره وعلا شأنه.

أسمـــاء يـوم القيـــامـة[1]

ذكر رب العالمين في كتابه الكريم هذا اليوم بأسماء مختلفة متعددة؛ لتقف بكثرة أسمائه على كثرة معانيه، فلكل اسم دلالته الخاصة، وقد اعتنى جمع من أهل العلم بذكر هذه الأسماء، وقد عدَّها الغزالي والقرطبي؛ فبلغت خمسين اسمًا كما نقل ذلك عنهما الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في فتح الباري (٣٩٦/١٨)

وسنتناول أشهر هذه الأسماء مع ذكر الدليل عليه: -

١- يوم القيامة: ورد هذا الاسم في سبعين آية من آيات الكتاب، **كقوله تعالى:**

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧]

وقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء:٩٧]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الشورى:٤٥]

والقيامة في اللغة: مصدر "**قام، يقوم**"، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب، وسُميت بذلك لما يقوم فيها من الأمور العظام التي بيَّنَتها النصوص، ومن ذلك قيام الناس لرب العالمين.

٢- اليوم الآخر: **كقوله تعالى:** ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة:١٧٧]

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة:٢٣٢]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة:١٨]

- وأحيانًا يُسمِّيه بالآخرة أو الدار الآخرة، **كقوله:** ﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠]

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ [النساء:٧٤]

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص:٨٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤]

وسُمي ذلك باليوم الآخر؛ لأنه اليوم الذي لا يوم بعده.

١- القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر -رحمه الله- (ص١١، ١٢)

٣- **السـاعة**: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه:١٥]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١]

قال القرطبي –رحمه الله–: "والساعة كلمة يُعبَّر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة، اللذين هما أصل الأزمنة، وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بـ(الألف واللام) عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن، وسميت به القيامة إما لقربها، فإن كل آت قريب، وإما أن تكون سميت بها تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود، ***وقيل:*** إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة..."

(التذكرة للقرطبي: ص٢١٦)

٤- **يوم البعث**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج:٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦]

قال ابن منظور كما في "لسان العرب":

"البعث: الإحياء من الله تعالى للموتى، وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث"

٥- **يوم الخروج**: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥]

سُمي بذلك لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم عندما ينفخ في الصُّور.

٦- **القارعة**: قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١-٣].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة:٤].

قال القرطبي –رحمه الله–: " سُمِّيت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها، ***يقال:*** قد أصابتهم قوارع الدهر، أي: أهواله وشدائده ". (التذكرة للقرطبي: صـ٢٠٩)

٧- **يوم الفصل**: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات:٢١].

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:٣٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ:١٧]

سُمي بذلك لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، وفيما كانوا فيه يختصمون، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٥]

٨ - **يوم الدِّين**: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٤-١٩]

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الصافات:٢٠]، **والدِّين في لغة العرب**: "الجزاء والحساب".

قال الشاعر:

حصادك يومًا ما زرعت وإنما ... يدان الفتي يومًا هو دائن

سُمي بذلك لأن الله يجزي العباد ويحاسبهم في ذلك اليوم.

٩ - **الصَّاخَّة**: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس:٣٣].

قال القرطبي -رحمه الله-: *"قال عكرمة:* "الصَّاخَّة: النفخة الأولى، والطَّامَّة: النفخة الثانية، ***قال الطبري:*** "أحسبه من صخّ فلانٌ فلانًا إذا أصمَّه، ***قال ابن العربي:*** "الصَّاخَّة التي تورث الصمم، وإنها المسمعة، وهذا من بديع الفصاحة، ***حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حديثي الأزمان:***

أصم بك الناعي وإن كنت أسمعًا

وقال آخر:

أصمَّني سيرهم أيام فرقتهم ... فهل سمعتم بسير يورث الصمما

ولعمر الله إن صيحة القيامة مسمعة، تصم عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة" (التذكرة للقرطبي: ص٢٧)

وقال ابن كثير-رحمه الله-: *"قال البغوي:* "الصَّاخَّة: يعني صيحة يوم القيامة، سُميت بذلك لأنها تصخُّ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها" (تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧)

١٠- الطَّامَّة الكبرى: **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:٣٤].

سُمِّيت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع، **كما قال تعالى:** ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]

قال القرطبي –رحمه الله–: "الطَّامَّة الغالبة، من قولك: "طمَّ الشيء: إذا علا وغلب.

ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء، ***قال الحسن:*** الطَّامَّة: النفخة الثانية، ***وقيل:*** "حين يسار أهل النار إلى النار". ("التذكرة" للقرطبي: ص٢٢٧)

١١- يوم الحسرة: **قال تعالى:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]

سُمي بذلك لشدة تَحسُّر العباد في ذلك اليوم وتندمهم. أما الكفار فلعدم إيمانهم ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١]

واستمع إلى تحسر الكفار عندما يحل بهم العذاب: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٦-٥٨]

وتبلغ الحسرة ذروتها بأهل الكفر عندما يتبرأ السادة والأتباع من متبوعيهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]

ويتحسر المؤمنون في ذلك اليوم بسبب عدم استزادتهم من أعمال البر والتقوى.

١٢- الغاشية: **قال تعالى:** ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية:١]

سميت بذلك لأنها تغشى الناس بأفزاعها وتغمَّهم، ومن معانيها أن الكفار تغشاهم النار، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، **كما قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥]

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]

١٣- يوم الخلود: **قال تعالى:** ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق:٣٤]

سمي ذلك اليوم بيوم الخلود لأن الناس يصيرون إلى دار الخلد فالكفار مخلدون في النار، والمؤمنون مخلدون في الجنان، **قال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧]

١٤- يوم الحساب: **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧]

سُمي ذلك اليوم بيوم الحساب؛ لأن الله يحاسب فيه عباده، ***قال القرطبي -رحمه الله-:*** " معنى الحساب: أن الله يعدِّد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدِّد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير، وللشر بالشر، ***وجاء عن النبي ﷺ أنه قال:*** **" ما منكم أحدٌ إلا وسيُكَلِّمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان "**.

١٥- الواقعة: **قال تعالى:** ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١]، ***قال ابن كثير-رحمه الله-:*** "سُمِّيت بذلك لتحقق كونها ووجودها" (تفسير ابن كثير:٦/٥٠٧)

وأصل "**وقع**" في لغة العرب: "**كان**" و"**وجد**"

١٦- يوم الوعيد: **قال تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٠]؛ لأنه اليوم الذي أوعد به عباده، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة.

١٧- يوم الآزفة: **قال تعالى:** ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر:١٨]

سميت بذلك لاقترابها، **كما قال تعالى:** ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٧،٥٨]

والساعة قريبة جدًا، وكل آت فهو قريب وإن بَعُد مداه، والساعة بعد ظهور علاماتها أكثر قربًا.

١٨- يوم الجمع: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧].

سميت بذلك؛ لأن الله يجمع فيه الناس جميعًا، **كما قال تعالى:**

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣]

١٩- الحاقَّة: قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢،١]

سميت بذلك –***كما يقول ابن كثير–رحمه الله–:*** "لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد"

(تفسير ابن كثير:٩٩/٧)

قال البخاري في "صحيحه": "هي الحَاقَّة لأن فيها الثواب وحواق الأمور. الحَقَّة والحَاقَّة واحد"

وقال ابن حجر–رحمه الله– في شرحه لكلام البخاري: "هذا أخذه من كلام الفراء، قال في معاني القرآن: الحَاقَّة: القيامة. سميت بذلك لأن فيها الثواب وحواقّ الأمور، ***ثم قال:*** الحَقَّة والحَاقَّة كلاهما بمعنى واحد، ***قال الطبري–رحمه الله–:*** "سميت الحَاقَّة لأن تحقّ فيها. ***وهي كقولهم:*** "***ليلٌ قائمٌ***".

وقال غيره: سميت الحَاقَّة لأنها أحقت لقوم الجَنَّة ولقوم النار. ***وقيل:*** "لأنها تحاقق الكفار الذين خالفوا الأنبياء، ***يقال:*** "حاققته فحققته، أي: خاصمته فخصمته. ***وقيل:*** "لأنها حق لا شك فيه"

(فتح الباري:١٩٥/١١)

٢٠- يوم التلاق: قال تعالى:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥]

قال ابن كثير –رحمه الله–: "قال ابن عباس: "يلتقي فيه آدم وآخر ولده، ***وقال ابن زيد:*** " يلتقي فيه العباد ".

وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة: "يلتقي فيه أهل الأرض والسماء، والخالق والخلق"، ***وقال ميمون بن مهران:*** "يلتقي فيه الظالم والمظلوم. ***وقد يقال:*** "إن يوم التلاق يشمل هذا كله، ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر... كما قاله آخرون" (تفسير ابن كثير: ١٣٠/٦)

٢١- يوم التناد: قال تعالى حاكيًا نصيحة مؤمن آل فرعون قومه:

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢]، سمي بذلك لكثرة ما يحصل من نداء في ذلك اليوم، فكل إنسان يُدعى باسمه للحساب والجزاء، وأصحاب الجَنَّة ينادون أصحاب النار، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجَنَّة، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء.

٢٢- يوم التغابن: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]

سُمي بذلك لأن أهل الجَنَّة يغبنون أهل النار، إذ يدخل هؤلاء الجَنَّة، فيأخذون ما أعدَّ الله لهم، ويرثون نصيب الكفار من الجَنَّة.

وقيل: ﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

– فهذه هي أشهر أسماء يوم القيامة، وقد أورد بعض العلماء أسماء أخرى غير ما ذكرناه، وهذه الأسماء أخذوها بطريق الاشتقاق بما ورد منصوصًا.

فقد سمُّوه **بيوم الصدر**، أخذًا من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة:٦].

ويوم الجدال، أخذًا من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل:١١١]

وسمُّوه بأسماء الأوصاف التي وصف الله بها ذلك اليوم، *فقالوا من أسمائه:*

"يوم عسير، ويوم عظيم، ويوم مشهود، ويوم عبوس قمطرير، ويوم عقيم".

ومن الأسماء التي ذكروها غير ما تقدَّم:

"يوم المآب، يوم العرض، يوم الخافضة الرافعة، يوم القصاص، يوم الجزاء، يوم النفخة، يوم الزلزلة، يوم الراجفة، يوم الناقور، يوم التفرق، يوم الصدع، يوم البعثرة، يوم الندامة، يوم الفرار"

ومنها أيضًا: **"يوم تبلى السرائر، يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا، يوم يُدعُّون إلى نار جهنم دعًّا، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، يوم لا ينطقون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا يكتمون الله حديثًا، يوم لا مردَّ له من الله، يوم لا بيع فيه ولا خلال، يوم لا ريب فيه"**

وقد يضيف إليها بعض أهل العلم أسماء أخرى، وقد يسمى الاسم بما يقاربه ويماثله، ***قال القرطبي كما في "التذكرة" (ص٢٣٣):*** "ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكر بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام، والخزي، والهوان، والذل، والافتقار، والصَّغار، والانكسار، ويوم الميقات، والمرصاد... إلى غير ذلك من الأسماء".

السرُّ في كثرة أسمائه:

يقول القرطبي كما في "التذكرة" (ص٢١٤): "وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر.

فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سمَّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة". اهـ

قال القحطاني – رحمه الله –:

يوم القيامة لو علمت بهوله ... لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله ... وتشيب فيه مفارق الولدان
يوم عبوسٌ قمطريرٌ شره ... في الخلق منتشرٌ عظيم الشَّان
والجَنَّة العُليا ونارُ جهنَّم ... داران للخصمين دائمتان
يوم يجئ المتقون لربِّهم ... وفدًا على نُجُب من العقيان
ويجئ فيه المجرمون إلى لَظَى ... يتلمظون تلمُّظ العطشان
ودخول بعض المسلمين جهنَّما ... بكبائر الآثام والطُّغيان
والله يرحمهم بصحَّة عقدهم ... ويُبدَّلوا من خوفهم بأمان
وشفيعهم عند الخروج محمد ... وطهورهم في شاطئ الحيوان
حتى إذا طُهُروا هنالك أُدخلوا ... جنات عدن وهي خيرُ جنان
فالله يجمعنا وإياهم بها ... من غير تعذيب وغير هوان

(نونية القحطاني: صـ١٩-٢٠)

أهوال يوم القيامة والدمار الكوني الشامل

جاء في كثير من الآيات القرآنية مشاهد من اختلال واضطراب النظام الكوني، فحدثنا القرآن أن الأرض سترج رجًّا، وتدك دكًّا، وتُنسف الجبال نسفًا، حتى تصير هباءً مُنبثًّا، وتتفجر البحار وتُسجَّر، وتنفطر السماء وتتشقَّق، وتتناثر الكواكب، فالشمس تكوَّر، والقمر يخسف، والنجوم الزواهر تتكدر وتتهاوى وتتساقط وينفرط عقدها، والكل يطمس نوره ويذهب ضياؤه، ويصبح الخلق في ظلمة شديدة وهلع فظيع، هلعٌ يخلع القلوب وتطيش عنده العقول وتشخص من هوله الأبصار.

فتعال أنا وأنت لنقف على مشاهد وأهوال يوم القيامة، ونهاية العالم والدمار الذي يشمل الكون كله.

أولًا: اختلال نظام الأرض:

فعندما يُنفخ في الصُّور نفخة الصَّعق؛ فترتج الأرض وتتزلزل وتُدَك، وهذه أوصاف تدل على شدة هول ما يحدث، **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:١٣-١٥]، **وقال تعالى:** ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر:٢١]

وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾

[الواقعة:١-٤]

ورجة الأرض في الآية: بمعنى الاضطراب والحركة السريعة عقب صعقة النفير، وعندها ينهدم كل ما على الأرض من بناء وجبال، **وقال تعالى:** ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:١-٤]

وقد روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-أنه قال: "تزلزلت الأرض زلزلة، واضطربت اضطرابة، فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان" اهـ.

ففي الآيات السابقة تصوير لما يحدث يوم القيامة عند نفخة الصعق؛ حيث تتزلزل الأرض وتلفظ ما في جوفها، وتدك دكًا شديدًا؛ فينهدم كل ما على الأرض من بناء وجبال.

• أمـــا عن حـــال الجبـــال:

جاء في القرآن الكريم وصف الجبال حال النفخ في الصُّور، وهذا الوصف يدل على هول القيامة وشدتها، **وقد مر بنا في الآية قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:١٣-١٥]

وكلمة "**الدك**" في اللغة: هو "الهدم" الذي يصاحبه دقٌّ وتفتُّت، وهذا كله يجسد معنى الدك، بما تحمله الكلمة من معاني القوة والرعب.

وقد جاءت الآيات القرآنية بعدة من الهيئات والأوصاف للجبال، والتي تدل على هول وشدة القيامة، **ومن هذه الأوصاف:**

١ـ بسّ الجبـال: **قال تعالى:** ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة:١-٦]

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي صارت الجبال فتيت مبسوس، كما يُبس الدقيق، أي: بلت.

والمعنى: أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء، أي تصير الجبال ترابًا، فيختلط البعض بالبعض، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾، ***يقول علـيّ بن أبـي طالـب:*** "الهباء المُنبث هو "**الرهج**" . الغبار . الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب، و ﴿مُّنبَثًّا﴾: أي: متفرقًا".

(انظر تفسير القرطبي عند تفسير هذه الآية)

٢ـ انهيـار الجبـال: فالجبال تنهار حتى تكون كالكثيب المتداعي المنهال، **كما قال تعالى:**

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤]

أي صارت الجبال تِلالًا من الرمال المتناثرة، بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، ***يقال:*** "**أهلت الرمل**" أي: إذا رفعت أسفله سقط عليك أعلاه.

٣- نفش الجبال: فبعد انهدام الجبال وتفتتها، فإنها تتطاير في أجواء الفضاء كما يتطاير الفَرَاشُ ويحوم في كل مكان، فالجبال تتحول إلى ذرات من الهباء وتتناثر؛ فتُرَى كأنها الصوف المنفوش الخفيف الذي تذروه الرياح، **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ تَكُونُ السماء كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، [المعارج:٨-١٠]، **وقال تعالى:** ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:١-٥]

٤- نسف الجبال: **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات:١٠]

وهذا وصف لحال الجبال يُبيِّن لك هول المشهد، حيث تُقْلع الجبال وتجتث عن أماكنها

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]

وقد رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾"يقلعها ربي قلعًا"، ﴿فَيَذَرُهَا﴾: أي يترك الأرض، ﴿قَاعًا﴾: مستوية، ﴿صَفْصَفًا﴾ أملسًا، لا نبات فيها، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾: واديًا ولا شقوقًا، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾: أي لا شيئًا شاخصًا من الأرض".

وقال الطبري -رحمه الله- في تفسيره: "يذريها ربِّي تذرية، ويطيرها بقلعها واستأصلها من أصولها، ودك بعضها على بعض وتصيره إياها هباءً منبثًّا". (جامع البيان:١٦/٢١١)

٥- سير الجبال: **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣]

ومشهد سير الجبال جاء في سورة النبأ، وشبه بالسراب، **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ:١٨-٢٠]

قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره: "ونسفت الجبال، فاجتثت من أصولها؛ فصيرت هباء منبثًّا لعين الناظر كالسراب الذي يظن مَن يراه عن بُعْدٍ ماءً، وهو في الحقيقة هباء. اهـ.

ثم بيَّن الحقُّ ﷻ حال الأرض بعد نسف وتسير الجبال؛ **فقال تعالى:**

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧]، أي ترى الأرض ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، ثم يلي ذلك مشهد الحشر الجامع الذي لا يُخلِّف وراءه أحدٌ.

• تفجير البحار وتسجيرها:

أما هذه البحار التي تغطي الجزء الأعظم من أرضنا، وتعيش في باطنها عوالم هائلة من الأحياء، وتتهادى فوقها السفن ذاهبة آيبة، فإنها تفجر في ذلك اليوم، وقد علمنا في هذا العصر الهول العظيم الذي يحدثه انفجار الذرات الصغيرة التي هي أصغر من ذرات الماء، فكيف إذا فجَّرت ذرات المياه في هذه البحار العظيمة، عند ذلك تُسجَّر البحار، وتشتعل نارًا، ولك أن تتصور هذه البحار العظيمة الهائلة وقد أصبحت مادة قابلة للاشتعال، كيف يكون منظرها، واللهب يرتفع منها إلى أجواء الفضاء،

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣] **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦]

وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور:٦]

وقد ذهب المفسرون قديمًا كالإمام الألوسي إلى: "أن المراد بتفجير البحار، تشقق جوانبها، وزوال ما بينها من الحواجز، واختلاط الماء العذب بالماء المالح، حتى تصير بحرًا واحدًا، وما ذكرناه أوضح وأقرب، فإن التفجير بالمعنى الذي ذكرناه مناسب للتسجير، والله أعلم بالصواب.

(القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر –رحمه الله–: ص٩٣)

فيكون "**سجرت**" بمعنى: "**أوقدت**"، فصارت نارًا تضطرم، ***وقيل:*** "**يبست، وذهب ماؤها**" ولا تعارض بين التفسيرين؛ لأنها تُسجَّر فتصبح نارًا، ثم يذهب ماؤها.

تنبيه:

حثَّ الشرع الحكيم على العمل وإتقانه وإن لم يأكل من ثمرته شيء، ويدلك على هذا

الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل ".

ثانياً: اختلال نظام السماء:

إن مشاهد اضطراب النظام الكوني واختلاله يوم القيامة؛ تملأ نفوس الناس هيبة ورهبة، كما مر بنا في الاضطراب الذي سيحدث للنظام الأرضي، أما اختلال النظام السماوي وما يحدث للشمس والقمر والنجوم، فهي من المشاهد التي تخلع القلوب، فتجد أن السماء تدور وتضطرب اضطرابًا عظيمًا، وتتفطر وتتشقق؛ فتصبح ضعيفة واهية، وتتحول إلى سائل ويتغير لونها.

- أما بالنسبة للشمس، فإنها تكور ويذهب ضوؤها. وأما القمر، فإنه يخسف ويذهب ضوؤه.
- وأما النجوم، فإنه ينفرط عقدها؛ فتتناثر وتتكدر.

إنها مشاهد تتفطر منها الأكباد، وتنخلع لها القلوب، وقد جاء ذكر هذه المشاهد كلها في القرآن الكريم.

١ - مور السماء (أي دورانها):

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور:٩]، فعبَّر القرآن عن اضطراب السماء بالمور.

وقد فسر ابن عباس -رضي الله عنهما-: المور بالدوران، ***فقال:*** " تدور السماء مورًا بأهلها دورانًا كدوران الرحى، وتموج الخلائق بعضها في بعض من الهول. ***وقيل:*** " مور السماء: يعني تشققها وانفطارها".

- ***وقيل:*** " مور السماء: يعني انكفاؤها ". (قاله أبو عبيدة)
- ***وقيل:*** المور: هو تحرُّك في تموُّج، ويكون "مور السماء" يعني: أنها تضطرب وتجئ وتذهب. (قاله الزمخشري)

ويمكن الجمع بين الأقوال: حيث إن السماء تدور دورانًا شديدًا، مما يجعل أعالي الأشياء تتكفئ على أسفلها.

٢ - تَصدُّع السمـــاء:

فمن الطبيعي أن دوران السماء وانكفاءها الذي صورته الآية السابقة لا يترك السماء إلا منهارة الجوانب، متصدعة الأرجاء، وقد صُوِّر هذا التصدع، **في قوله تعالى:** ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل:١٧، ١٨]

وقد فُسِّر الانفطار بالانشقاق، **كما في قوله تعالى:** ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]

فإن السماء تصبح واهية ضعيفة بعد هذا الدوران، والذي يسبب الانشقاق، والذي بدوره يؤدي إلى الوهن والضعف، **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات:٩]

٣ - تحوُّل السماء إلى سائل:

فبعد انشقاق وتصدُّع السماء؛ فإنها تتحول إلى سائل متلون، **كما قال تعالى:**

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السماء كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٦-٨]

وقد فُسِّر المُهْل تفسيرين: أحدهما "دردى الزيت وحثالته" (وهو ما يبقى أسفل الزيت)

(انظر تفسير ابن كثير:٤/٢٤٠)

والتفسير الآخر للمُهْل "هو الفضة المذابة أو "المعادن المذابة بصفة عامة" (انظر تفسير الطبري:٢٩/٧٣)

وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة في "مجاز القرآن" (١/٤٠٠)؛ حيث قال في قوله تعالى:

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، ***قال:*** " كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص... ونحو ذلك فهو مهلٌ ".

- ويبدو أن إطلاق لفظ "المُهْل" على الزيت أو المعادن المذابة قريب لاعتبارين: -

أولهما: أنها سوائل، **والاعتبار الآخر:** أنها متنوعة الألوان والأشكال، وهذه حال السماء يوم القيامة، حيث تأخذ في التلوُّن؛ فتارة تكون حمراء، وتارة صفراء، وأخرى خضراء، ورابعةً زرقاء، **كما قال تعالى:**

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، ***وقد نُقِلَ عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:*** "أن السماء تكون في ذلك اليوم كالفرس الورد، ***والفرس الورد كما يقول البغوي -رحمه الله-*** : "تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد تغيَّر لونها.

وقال الحسن البصري -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، أي: تكون ألوانًا".

(تفسير ابن كثير:٦/٤٩٤)

ونقل الأزهري عن أبي إسحاق أنه قال: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي: تتلوَّن كما تتلوَّن الدهان المختلفة.

(لسان العرب:١٤/١٥٦)

وكل هذه المشاهد التي مر ذكرها تجسد لك أهوال القيامة ومشاهد اضطراب السماء المفزع.

• **أما بالنسبة للشمس**: فإنها تجمع وتكوَّر، ويذهب ضوؤها، **كما قال تعالى:**

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، أي: لفت وطويت وزال ضياؤها.

والتكوير عند العرب: جمع ولف الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة أي جمعها.

(انظر معارج القبول: ٢/٢١٣)

وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" **الشمس والقمر يُكوَّران يوم القيامة** ".

• **أما بالنسبة للقمر**: فإنه يُخْسَف به: أي يذهب ضوؤه، **كما قال تعالى:**

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩]، وهنا يغمر الكون ظلامٌ دامسٌ، ويصيب الناس الهلع والفزع، ***وقوله:*** ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما، وهكذا فسَّره النبي ﷺ، ***ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " **الشمس والقمر مكوران يوم القيامة** ". يعني: مجموعان مظلمان.

• **أما بالنسبة للنجوم**: فإن عقدها ينفرط فتتناثر، **كما قال تعالى:** ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢]

أي تساقطت متفرقة على أهل الأرض، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢]

والانكدار: الانتشار، **وأصله في لغة العرب:** "الانصباب". (تفسير ابن كثير: ٧/٢٢١)

- وتساقط النجوم وانتشارها يؤدي إلى ذهاب نورها، **كما قال تعالى:**

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات:٧-١٣]

وهذه الآيات تكشف لنا ملامح الاضطراب الذي يصيب الكون وأجرام السماء، فالنجوم مطموسة لا نور فيها ولا ضياء وقد تساقطت، والسماء مصدوعة فيها شقوق وفروج، والجبال منسوفة وهي تمرُّ مرَّ السحاب.

وبعد...، فهذه بعض صور ومشاهد أهوال يوم القيامة، وما يحدث من اضطراب كوني يشمل الأرض والسماء، فالأرض تدك وترج وتتزلزل، والجبال تنسف وتتفتت وتكون كالصوف المتناثر، وتتفجر البحار، وتتشقق السماء وتنفطر، وتتناثر الكواكب، وتكور الشمس، ويخسف بالقمر، وتتكدر النجوم، والكل يذهب ضياؤه ونوره، فيغمر الكون ظلامٌ دامس، وحين يعاين الناس هذه المشاهد والأهوال ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة:١٠]، **والجواب:** ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١٢]

بل يحاول الجن الفرار والهروب إلى أجواء الفضاء؛ فتضربهم الملائكة فتردهم على أعقابهم،

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا . . .﴾ [الحاقة:١٣-١٧]

أي على أطرافها يضربون كل مَن يحاول الفرار، حيث لا مفر، وأين المفر والإله الطالب؟

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١٢]

• يخرب الكون ويبقى الإله؛ فالكل سيموت إلا ذي العزة والجبروت

وهنا يطوي الملك ﷻ السماء بيمينه، ويقبض الأرض بشماله، ***ويقول:*** "أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ففي هذه الآية أخبرنا رب العالمين أنه سيقبض الأرض ويطوي السماء، ثم أخبرنا الله تعالى في موضع آخر عن كيفية طَيِّهِ للسموات، **فقال:** ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]

قال ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" (٤/٢٠٦): "والصحيح عن ابن عباس: أن السجل هي الصحيفة، فعلى هذا يكون معنى الكلام: "يوم تطوى السماء كطي السجل للكتاب، أي على الكتاب، بمعنى المكتوب". اهـ. ملخصًا

- ويدل على طي السماء وقبض الأرض كذلك، الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-: **"يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟".**

وهذا القبض للأرض والطي للسموات يقع بعد أن يُفْنِي اللهُ تعالى الخلقَ

وفي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:
" يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمني، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله – *وفي رواية:*"يأخذهن بيده الأخرى– ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟". الحديث

– وعند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: **" أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر:٦٧]".

أحبتي في الله... إن الحديث عن أهوال يوم القيامة قطع قلوب العارفين، وقسم ظهور المتقين، وقد شاب من حديثه سيد المتقين وأمام العارفين الحبيب الأمين ﷺ ، ***فقد أخرج الطبراني من حديث عقبة ابن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" شيبتني هود وأخواتها ".**

(صحيح الجامع:٣٧٢٠) (الصحيحة:٩٥٣)

وفي رواية أخري أخرجها ابن مردويه عن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال:
" شيبتني هود وأخواتها قبل المَشيب ". (صحيح الجامع:٣٦١٥)

وبيَّن النبي ﷺ في حديث "المقصود بأخوات سورة هود"، ***ففي "سنن الترمذي" و"مستدرك الحاكم" من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:*** **" شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت ".** (صحيح الجامع:٣٧٢٣)

وهذه السور شيَّبت النبي ﷺ؛ لأنه ورد فيها أهوال يوم القيامة، بل صرَّح النبي ﷺ بذلك ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" مَن سرَّه أن ينظر إلى القيامة كأنه رأيُ عين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ ، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ".**

(صحيح الجامع:٦٢٩٣) (الصحيحة:١٠٨١)

– وعندما يجمع الله الأنبياء، فيسألهم فلا يَدرون بما يجيبون؛ لأن العقول قد أدهشت من هول هذا اليوم

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ **[المائدة:١٠٩]**

قال الحسن ومجاهد وغيرهما: "إنما قالوا ذلك من الهول والفزع والرعب ". (تفسير ابن كثير)

• فإذا كان هذا هو حال الأنبياء، فانظر ما يكون من حال الأولياء:

– ***كان سفيان الثوري:*** "إذا أخذ في ذِكرِ الآخرة يَبولُ الدم ". (السير:٧/٢٤٢)

– ***وقال الفضيل –رحمه الله–:*** "ماأَغبطُ مَلَكًا مُقرَّبًا، ولا نبيًا مُرسَلًا يُعاينُ القيامةَ وأهوالها، ما أغبِطُ إلا مَن لم يكن شيئًا ".

– ***وكان عبد الله بن مسعود يتمنى هذا فكان يقول:***

"إن هاهنا رجلًا – يقصد نفسه – وَدَّ لو أنها قامت – أي القيامة – ألا يُبعَث ".

– ***وكان الحسن البصري –رحمه الله– يقول:***"يحقُ لمَن يعلمُ أن الموت مورده، وأن الساعةَ موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهدُه أن يطول حُزنه ".

– ***وكان بِشرُ بن منصور يقول:***

"إني لأذكرُ الشيء من أمر الدنيا، أُلْهِي به نفسي عن ذِكر الآخرة، أخاف على عقلي".

– ***وقال الفضيل بن عياض –رحمه الله–:***

"ما يَسُرُّني أن أعرف الأمر حق معرفته، إذًا لطاش عقلي". (سير أعلام النبلاء)

وقال أيضًا:"لو خُيِّرتُ بين أن أعيش كلبًا وأموت كلبًا، ولا أرى يوم القيامة؛ لاخترت ذلك".

(سير أعلام النبلاء)

– ***وبكى مِسعَرُ بن كِدام، وقال لأمِّه:***

"يا أماه، لمثل ما نهجم عليه غدًا فلنُطل البكاءَ، قالت: وما ذاك؟ فانتحب فقال: القيامةُ وما فيها، ثم غلبه البكاء فقام ". (صفة الصفوة لابن الجوزي:٣/١٣٠)

– ***وها هو عبد الله بن وهب:***

" قُرِئ عليه كتابُ "أهوال القيامة" فخرَّ مغشيًا عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام ".

– ***وكان عبد العزيز بن سُليمان:***

" إذا ذكر القيامة صرخ كما تصرخُ الثكلى، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد، وربما رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه ".

– ***وقال بهز بن حكيم:***

"أَمَّنَا زُرارة بن أوفى في مسجد بني قُشير، فقرأ (المدثر) فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ **[المدثر:٨]** فخرَّ ميتًا".

وهكذا كان حال الأطهار الأخيار عند ذكر هذا اليوم العصيب، وحق لهم ذلك

وقد قال الحبيب ﷺ في شأن هذا اليوم: **" لو أن رجلًا يَخِرُّ على وجهه[1] من يوم وُلد إلى يوم يموتُ هَرماً في مرضاة الله ﷻ لَحَقَّرَهُ يوم القيامة ".** (أخرجه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد")

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥٩٦) (الصحيحة:٤٤٦)

أما نحن ففي غفلةٍ عن هذا، لذا تجرَّأ كثيرٌ منا على الذنوب، ومحاربة علام الغيوب

وكان الحارث المحاسبي -رحمه الله- يقول لأصحابه:

"اجعلوا الأهوال التي بين أيديكم على بالكم لعل أن تتوبوا عن المعاصي قبل موتكم، فإنه ما من أحد يعصي ربه ﷻ إلا وهو ناسٍ للحساب ومقاساة الأهوال، وإني أُحذِّركم وأُحذِّر نفسي من يوم آل الله على نفسه أن لا يترك عبدًا حتى يسأله عن عمله كله، دقيقه وجليله، سره وعلانيته

يا غافلًا عن القيامة، ستدري بمَن تقع الندامة

يا معرضًا عن الاستقامة، أين وجه السلامة

يا كثير الخطايا سيخف ميزانك

يا مشغولًا بلهوه سينشر ديوانك

يا أعجمي الفهم متى تفهم؟

أتؤثر على طاعة الله كسب درهم؟ وتفرح بذنب عقوبته جهنم؛ ستعلم حالك غدًا، سترى مَن يبكي ومَن يندم.

١ - يخر على وجهه: أي يسجد ويخشع ويخضع لربه مدة حياته من المهد إلى اللحد، من سن الطفولة إلى سن الشيخوخة والكبر، قاضيًا هذا العمر كله في طاعة الله - عز وجل -.

• تفسير القرطبي للنصوص الواصفة لأهوال يوم القيامة

قال القرطبي -رحمه الله-: "روى الترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَن سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]**". (صحيح الجامع: ٦١٩١).

وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة، لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور شمسها، وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها... إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم، وأخذها بأيمانهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم في موقفهم [على ما سيأتي بيانه].

قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، **وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾** [الانفطار: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، فتراها واهية منفطرة متشققة، **كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾** [النبأ: ١٩]، ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض، ***وقيل:*** "إن الباء في قوله (**بِالْغَمَامِ**) بمعنى "**عن**"، أي: تشقق عن سحاب أبيض، ***ويقال:*** "انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه، وبرزت النيران، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن، وتتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم، ورفعه، ***وقد قيل:*** "إن السماء تتلون، فتصفر، ثم تحمر، أو تحمر، ثم تصفر، كالمهرة تميل في الربيع إلى الصفرة، فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة، ثم إلى الغبرة.

(قاله الحليمي)

وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ***قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:***

"تكويرها إدخالها في العرش. ***وقيل:*** "ذهاب ضوؤها. (قاله الحسن وقتادة)، ***وقال الربيع بن خثيم:*** "كورت: رمي بها، ومنه: كورته، فتكور: أي سقط، ***قلت:*** وأصل التكوير: الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها، أي: لاثها، وجمعها، فهي تكور، ثم يمحو ضوءها، ثم يرمى بها، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]، أي: انتشرت، ***قيل:*** تتناثر من أيدي الملائكة؛ لأنهم يموتون، وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة. ***وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:*** "انكدرت: تغيرت، وأصل الانكدار: الانصباب، فتسقط في البحار، فتصير معها نيرانًا، إذا ذهبت المياه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣]، **هو مثل قوله:** ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف:٤٧].

أي: تحول عن منزلة الحجارة، فتكون كثيبًا مهيلًا، أي: رملًا سائلًا، وتكون كالعهن، وتكون هباء منبثًا، وتكون سرابًا، مثل السراب الذي ليس بشيء، ***وقيل:*** "إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم، كما تصير السماء من حرها كالمهل".

قال الحليمي: "وهذا والله أعلم؛ لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض، فإذا ارتفعت، وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثر في كل واحد من السماء والأرض ما ذكر".

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير:٤] أي: عطلها أهلها، فلم تحلب من الشغل بأنفسهم.

والعشار: الإبل الحوامل، واحدها عشر، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع، وإنما خصَّ العشار بالذكر؛ لأنها أعز ما يكون على العرب، فأخبر أنها تعطل يوم القيامة. ومعناه: أنهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضهم بعضًا، ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم، لم يعبؤوا بها، ولم يهمهم أمرها، ويحتمل تعطل العشار: إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملَّكهم إياها في الدنيا، وأهل العشار يرونها، فلا يجدون إليها سبيلًا، ***وقيل:*** العشار: السحاب، يعطل مما يكون فيه، وهو الماء، فلا يمطر. ***وقيل:*** العشار: الديار، تعطل فلا تسكن. ***وقيل:*** الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع، والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] أي: جمعت، والحشر الجمع، وقد تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أوقدت، وصارت نارًا.

(رواه الضحاك عن ابن عباس –رضي الله عنهما–)

وقال قتادة: "غار ماؤها، فذهب، ***وقال الحسن والضحاك:*** "فاضت". ***قال ابن أبي زَمْنين:*** "سجرت حقيقته مُلئت، فيفضي بعضها إلى بعض، فتصير شيئًا واحدًا. وهو معنى قول الحسن.

ويقال: "إن الشمس تلف، ثم تلقى في البحار، فمنها تحمى، وتنقلب نارًا".

قال الحليمي: ويحتمل إن كان هذا هكذا، أن البحار في قول من فَسَّر التسجير بالامتلاء، هو أن النار حينئذ تكون أكثرها؛ لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة، فإذا كورت، وألقيت في البحر، فصارت نارًا، ازدادت امتلاءً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:٧] تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل مَن كان يعبد من دون الله شيئًا يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين، ***وقال عكرمة:*** "المعنى تقرن بأجسادها، أي: ترد إليها، ***وقيل:*** "يقرن الغاوي بمَن أغواه من شيطان أو إنسان. ***وقيل:*** يقرن المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين".

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] يعني بنات الجاهلية، كانوا يدفنونهن أحياء، لخصلتين: **إحداهما:** كانوا يقولون: "إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به". **الثانية:** مخافة الحاجة والإملاق، وسؤال الموءودة على وجه التوبيخ لقاتلها، ***كما يقال للطفل إذا ضرب:*** "لم ضربت؟ وما ذنبك؟ ***وقال الحسن:*** "أراد الله أن يُوبِّخ قاتلها، لأنها قُتِلَت بغير ذنب. ***وبعضهم يقرأ:*** (وإذا الموءودة سألت)، تعلق الجارية بأبيها، فتقول: "بأي ذنب قتلتني؟ ***وقيل:*** معنى سئلت: "يُسأل عنها: **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] أي: للحساب، وسيأتي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]***قيل:*** معناه طويت، **كما قال الله تعالى:** ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أي: كطي الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى (على)، ***يقال:*** "كشطت السقف": أي قلعته، فكان المعنى: "قلعت"، فطويت والله أعلم، والكشط والقشط سواء، وهو القلع، ***وقيل:*** السجل كاتب للنبي ﷺ ولا يعرف في الصحابة من اسمه سجل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]، أي: أوقدت.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣] أي: قربت لأهلها، وأدنيت

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:١٤]، أي: من عملها، **وهو مثل قوله:** ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:٥] ("التذكرة" للقرطبي: ص٢١٤)

س: متى تقع هذه الأهوال؟

اختلف أهل العلم في وقت حدوث أهوال يوم القيامة على قولين:

القول الأول: أن أهوال يوم القيامة تقع في آخر عمر الدنيا بعد نفخة الصعق، وهذا ما ذهب إليه علقمة، والشعبي، ***واحتجوا بما يلي:*** –

١- **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٣-١٨]

أي: فإذا نفخ الملك في الصُّور نفخة واحدة، وهي الأولى التي يكون عندها خراب العالم، ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها، فضرب بعضها بعضًا، ودكتا دكة واحدة، ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذٍ ضعيفة مسترخية.

فأكدها بأنها واحدة، ***وقال ابن عباس:*** "هي النفخة الأولى التي يحصل عندها خراب الدنيا"

(انظر صفوة التفاسير:٣/٢٣٦)

٢- ***واستدلوا كذلك بالحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه:***

"يقبض الله تعالى الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"

٣- ***استدلوا بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ:***

" أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به ".

وهذا إنما يكون بعد نفخة الصعق".

٤- **واستدلوا بقوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[الحج:١-٢]

فقالوا: "إن بعد القيام من القبور، لا تحمل الإناث؛ حتى تضع حملها من الفزع، ولا ترضع المراضع حتى تذهل عما أرضعت ". (أضواء البيان: ٩/٥) (مختصر تفسير ابن كثير:٢/٥٢٧)

القول الثاني: إن أهوال يوم القيامة تقع بعد البعث والنشور، وهو اختيار ابن جرير الطبري –رحمه الله–، **واحتجُّوا بما يلي: –**

١ – *عن عمران بن حصين ﷺ قال:* " أنزلت على النبي ﷺ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢،١] وهو في سفر، فقال: أتدرون أي يوم ذاك؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجَنَّة، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: "قاربوا وسددوا، فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فتؤخذ العدة[١] من الجاهلية، فإن تمَّت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقْمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجَنَّة؛ فكبَّروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجَنَّة؛ فكبَّروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجَنَّة؛ فكبَّروا. قال: ولا أدري، أقال الثلثين أم لا ". (أخرجه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح)

٢ – *عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:* " يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]، فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم – ***زاد بعض الرواة:*** "قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل – فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجَنَّة؛ فكبَّرنا، ثم قال: ثلث أهل الجَنَّة؛ فكبَّرنا، ثم قال: شطر أهل الجَنَّة؛ فكبَّرنا ".

(أخرجه الشيخان والنسائي، واللفظ للبخاري)

ففي الحديثين تصريح بأن الوقت الذي تضع فيه كل ذات حمل حملها هو يوم القيامة، بعد البعث من القبور، وليس في آخر الدنيا. وهو نص في محل النزاع.

(انظر أضواء البيان:٩/٥) (مختصر تفسير ابن كثير:٥٢٧/٢)

١- العدة: أي يؤخذ هذا العدد وهو بعث النار.

٣- واستدلوا كذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وفيه:

"... فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، ثم يُنفخ في الصُّور، فلا يسمعه أحد إلا أصغي ليتا ورفع ليتًا، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، قال: ثم يرسل - أو قال: ينزل - الله مطرًا كأنه الطل- أو الظل، شك الراوي- فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه مرة أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، ثم يقال: أَخْرِجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧]، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]". (أخرجه مسلم)

فذكر نفختين، نفخة الصعق، ونفخة الفزع الأكبر، وذكر أن ذلك اليوم هو الذي يشيب فيه الولدان.

والراجح هو القول الأول، أما الرد على الفريق الثاني في كون الحامل تضع حملها، وتذهل المرضعة عن رضيعها بعد قيام الناس لرب العالمين

فالرد عليه والله أعلم، أن مَن ماتت حاملًا تبعث حاملًا، فتضع حملها من شدة الهول والفزع، ومَن ماتت مرضعة بعثت مرضعة كذلك، أو أن هذا كناية عن شدة الأهوال، ***كقوله:*** ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ **[المزمل:١٧]**، ومثل ذلك من أساليب اللغة المعروفة. (أضواء البيان:٥/١٠)

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم

استعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كُوِّرت، والجبال قد سُيِّرت، والعشار قد عُطِّلت، والوحوش قد حُشِرت، والبحار قد سُجِّرت، والنفوس إلى الأبدان قد زُوِّجت، والجحيم قد سُعِّرت، والجَنَّة قد أُزْلفت، والجبال قد نُسِفت، والأرض قد مُدَّت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيها زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذٍ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، يوم تُحْمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، يومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم تُرج الأرض فيه رجًّا، وتُبَسُّ الجبال بسًّا، فكانت هباءًا منبثًّا، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهَّار، يوم تنسف الجبال نسفًا فتترك قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، يوم تنشقُّ فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يُمنع فيه العاصي من الكلام، ولا يسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء، تودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخَّرت، يوم تخرس فيه الألسن، وتنطق الجوارح، ***يومٌ شَيَّب ذكره سيد المرسلين ﷺ إذ قال له الصديق رضي الله عنه:***

" أراك قد شبت يا رسول الله، قال: شيبتني هود وأخواتها ". (أخرجه الطبراني)

وهي الواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت.

فيا أيها الإنسان... ما غرَّك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين، يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين.

ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء:١-٣]، **ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول:** ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١]

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السماء كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج:٦-٧]

ثم يكون أحسن أحوالنا، أن نتَّخذ دراسة هذا القرآن عملًا، فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه، ولا نستعد للتخلص من دواهيه، فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يدركنا الله بواسع رحمته. (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي -رحمه الله-)

مثِّل لنفسك أيها المغـــرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهـار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تسـاقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضيـاء كدور
وإذا البحـار تفجَّرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تفـور
وإذا الجبـال تقلَّعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشـار تعطَّلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحشرت ... وتقول للأمـلاك أين نسير
وإذا تقـاة المسلمين تزوجت ... من حـور عين زانهن شعور
وإذا الموءودة سُئِلت عن شأنها ... وبأي ذنبٍ قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السمـاء بيمينه ... طي السجل كتـابه المنشور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ... وتهتكت للمؤمنيـن ستـور
وإذا السماء تكشَّطت عن أهلها ... ورأيت أفـلاك السمـاء تدور
وإذا الجحيم تسعَّرت نيرانهـا ... فلها على أهل الذنـوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيَّبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنيـن بـأمه متعلـقٌ ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هـذا بـلا ذنبٍ يخـاف جنايةً ... كيف المصر على الذنوب دهور

(التذكرة للقرطبي:٢١٤)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك